فلسفة الموت
الموت شرٌّ لأنه يفقدنا القدرة على التجارب الجيّدة

توماس ناغل
فيلسوف أميركي معاصر- أستاذ الفلسفة والقانون في جامعة نيويورك

ملخص إجمالي:[1]

تمثِّل فلسفة السياسة والأخلاق وفلسفة العقل أبرز الاهتمامات البحثيَّة للفيلسوف الأميركي توماس ناغل. وقد اشتهر بوقوفه ضدَّ أشهر اتِّجاهات فلسفة العقل وهو المادّيَّة الحذفيَّة eliminative materialism، أو الاتِّجاه الذي يردُّ كلَّ الإنسان إلى المادَّة. ووفقًا له، ليس العقل الإنسانيُّ سوى المخِّ، ولا يوجد ما يسمَّى أفكارًا أو معتقداتٍ أو رغباتٍ ذات طبيعة نفسيَّة خارج نطاق تفسير النظريَّة العلميَّة لها.

رفض ناغل هذا الاتجاه من منطلق أنَّ كلَّ إنسان يعرف خبراته العقليَّة بطريقة متفرِّدة تختلف عن معرفة الآخرين لها. فالآلام والصور البصريَّة تنطوي على ذاتيَّة لا يمكن تفسيرها تفسيراً علميًّا. والأوصاف العلميَّة تتعلَّق بالخصائص الموضوعيَّة للظواهر الطبيعيَّة فحسب. من هنا اشتهر بمقالته " معنى أن تكون خفَّاشًا" عام 1974، والتي ذهب فيها إلى أنَّه مهما كانت الوقائع الموضوعيَّة التي يمكن أن نعلمها عن مخِّ وسلوك الخفَّاش، فلن تقدر وحدها على أن تنقل إلينا الوقائع الذاتيَّة التي يشعر بها الخفَّاش عن نفسه.

أمَّا لناحية إسهامه في مجال الأخلاق، فيُعدُّ ناغل أوَّل الفلاسفة المعاصرين الذين فنَّدوا رأي هيوم القائل بأنَّ العقل وحده لا يمكنه أن يكون دافعًا للفعل الأخلاقيِّ. كذلك يُعدُّ من دعاة الفلسفة الليبراليَّة إذ ذهب إلى أنَّها مركَّبة من فكرتين: الأولى: أنَّه يجب أن يكون لأفراد المجتمع حريَّة الفكر والحديث وحريَّة أن يحيا كلٌّ منهم حياته على النحو الذي يريد بشرط ألَّا يضرَّ بغيره. والثانية: ضرورة الاحترام المتبادل بين الأفراد.

---

[1]- المصدر: Nagel, Thomas. Death, in Nous, Vol.4, No. 1 (Feb. 1970). pp.73 - 80.

توماس ناغل فيلسوف أميركي عمل في جامعة نيويورك كأستاذ الفلسفة والقانون، حيث قام بالتدريس منذ عام 1980 حتى عام 2016 ثم تقاعد. من أهمِّ كتب ناغل: "إمكانيَّة الإيثار" the Possibility of Altruism 1970، "أسئلة فانية" Mortal Questions 1979، "الكلمة الأخيرة" the Last Word 1997 "العقل والكون" Mind and Cosmos 2012، "المشاعر الأخلاقيَّة، والواقعيَّة الأخلاقيَّة والتقدُّم الأخلاقيّ" Moral Feelings, Moral Reality, and Moral Progress 2023، ثمَّ "الفلسفة التحليليَّة والحياة الإنسانيَّة" Analytic Philosophy and Human Life عام 2023.

ـ ترجمة: البروفسور بهاء درويش.

علوم المبدأ LLMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

تمهيد

إذا كان الموت كما يعتقد الكثيرون -هو النهاية الأبديَّة- التي لا مَراء فيها- لوجودنا، فإنَّ السؤال الذي يُثار هو ما إذا كان موتنا أمرًا سيّئًا. هناك خلاف واضح حول هذه المسألة، فالبعض يعتقد أنَّه أمر مرعب، والبعض الآخر لا يعترضون عليه في حدِّ ذاته وإن كانوا يتمنَّون ألَّا يكون موتُهم موتًا مبكرًا أو مؤلماً.

يعتقد أصحاب الفكرة الأولى - أي أولئك الذين يرون أنَّ الموت أمر مرعب- أنَّ أصحاب الفكرة الثانية - أي الذين لا يتمنَّون أن يكون موتُهم موتًا مبكرًا أو مؤلماً- مغيَّبون عن الحقيقة، بينما يعتقد هؤلاء الآخرون أنَّ الأوائل ضحايا خلط لديهم. فمن ناحية، يمكن القول أنَّ الحياة هي كلُّ ما لدينا، وأنَّ فقدانها أعظم خسارة يمكن للمرء تحمُّلها. ومن ناحية ثانية، يمكن الاعتراض بأنَّ الموت يحرم هذه الخسارة المفترضة موضوعها، ومتى أدرك المرء أنَّ الموت ليس حالة لا يمكن تخيُّلها للشخص الموجود ولكنَّه محض فراغ، يمكن للمرء عندئذٍ إدراك أنَّ الموت من الممكن ألَّا يكون له أيَّة قيمة كانت أو سلبيَّة.

الموت... بين الخيروالشرّ

أضع جانبًا مسألة ما إذا كنَّا نحن البشر نحيا إلى الأبد أو لا، وأستخدم مصطلح "الموت" ومثيلاته لأعني به في هذا النقاش الموت الأبديَّ الذي لا يدعمه أيُّ بقاء واعٍ. أريد أن أناقش ما إذا كان الموت في ذاته شرًّا أم لا، ومقدار هذا الشرِّ ونوعه. هذا السؤال مهمٌّ حتى لأولئك الذين يعتقدون أنَّنا لا نموت موتًا دائمًا، ذلك لأنَّ موقف المرء تجاه الأبديَّة يجب أن يعتمد إلى حدٍّ ما على موقفه ورؤيته للموت.

لا شكَّ في أنَّه إذا كان الموت شرًّا، فلا يمكن أن يكون كذلك بسبب ملامحه الإيجابيَّة، ولكن بسبب ما يحرمنا إيَّاه. من هنا، سأحاول أن أناقش الصعوبات التي تواجه الرأي الطبيعيَّ القائل بأنَّ الموت شرٌّ لأنَّه يضع نهاية لكلِّ خيرات الحياة. لا يجب أن يشغلنا الآن تحديد هذه الخيرات إلَّا بقدر إدراكنا أنَّ بعضها مثل الإدراك والنشاط والرَّغبة والفكر هي من العموميَّة بمكان بحيث تشكِّل في مجموعها الحياة البشريَّة. ويُنظر إلى هذه الخيرات في حدِّ ذاتها كمنافع جمَّة، رغم كونها تمثِّل شروط البؤس مثلما تمثِّل شروط السعادة، وأنَّ كمًّا كافيًا من شرور إضافيَّة معيَّنة يمكنها أن تـفوق هذه الخيرات.

إضافة إلى هذا، ثمَّة ملاحظتان:

الأولى: أنَّ قيمة الحياة ومحتوياتها لا تُنسب إلى البقاء العضويِّ فحسب. فلن يختلف الأمر

تقريبًا لكلِّ فرد بين الموت الفجائيِّ والغيبوبة التي يستمرُّ فيها شخص لمدَّة عشرين عامًا ثمَّ يموت بعدها قبل أن تحدث له إفاقة قبل الموت.

الثانية: أنَّ هذا الأمر مثل كلِّ الخيرات يمكن أن يتضاعف مع الوقت. (يجب ملاحظة أنَّه ليس من الضروريِّ للكمّيَّات الإضافيَّة أن تكون متَّصلة زمانيًّا. فالناس ينجذبون بشكل أكبر إلى فكرة تجميد الإنسان لفترة طويلة على أن تعود إليه الحياة الواعية لأنَّهم يعدُّونها استمرارًا لحياتهم الحاليَّة. وإذا ما تمَّ إتقان هذه التِّقانات (تجميد الإنسان ثمَّ عودته إلى الحياة)، سيصبح ما كان يُعدُّ من الخارج سباتًا عميقًا لمدَّة ثلاث مائة عام هو وفقًا للشخص نفسه ليس سوى انقطاع في سلسلة خبراته الخاصَّة).

وعليه، فإذا انتقلنا ممَّا هو خير بالنسبة إلى حياتنا إلى ما هو شرٌّ بالنسبة إلى الموت، فالأمر يختلف تمامًا، رغم أنَّه قد تكون هناك مشاكل بشأن الخصائص المحدَّدة لكلٍّ منهما. ذلك أنَّ ما نجده مرغوبًا به في الحياة هو حالات نشاط خاصَّة وظروفه وأشكاله. وما نعدُّه خيراً هو أنَّنا على قيد الحياة، نقوم بأعمال معيَّنة، وتتكوَّن لدينا خبرات خاصَّة. ولكن، إذا كان الموت شرًّا، فما يمكن الاعتراض عليه هو كون هذا الشرَّ يكمن في فقدان الحياة وليس في واقعة الموت نفسها، أو الغياب عن الوعي.

لا ريب في أهميَّة عدم التماثل هذا، فإن كان من الخير أن تكون على قيد الحياة، فهذه الميزة يمكن أن ننسبها إلى أيِّ شخص في أيِّ لحظة من لحظات حياته. إنَّه الخير الذي وفقًا له يُعدُّ باخ أفضل من شوبرت لأنَّه عاش فترة حياة أطول منه. أمَّا الموت فليس هو الشرَّ الذي وفقًا له تلقَّى منه شكسبير حتى الآن قدرًا أكبر ممَّا تلقَّى بروست. وعليه، إذا كان الموت عيبًا فليس من السهل أن نقول متى يعاني منه شخص ما.

ثمَّة واقعتان إضافيَّتان تدلَّان على أنَّنا لا نعترض على الموت فقط لأنَّه يتضمَّن فترات طويلة من عدم الوجود:

الأولى، كما ذكرنا هي أنَّ معظمنا لن يَعُدَّ التوقُّف الزمنيَّ للحياة سوء حظٍّ في ذاته. فإذا تطوَّر العلم بحيث يمكن تجميد أشخاص من دون تقليل فترة حياتهم الواعية، فلن يكون من الملائم أن نحزن على هؤلاء الذين هم خارج الحياة.

الثانية: أنَّه لم يحدث أن وجد أحدنا قبل الميلاد وإن كان البعض القليل يعدُّون هذا سوءَ حظّ.

فالنقطة القائلة بأنَّ الموت لا يُعدُّ حالة سيّئة تمكِّننا من تفنيد اقتراح شائع حول نشأة الخوف من الموت. وغالبًا ما يقال إنَّ هؤلاء الذين يعترضون على الموت ارتكبوا خطأ محاولة تخيُّل واقعة

أنَّ المرء ميت. ويقال أيضًا إنَّ فشل إدراك أنَّ هذه المهمَّة (تخيُّل الموت) مستحيلة منطقيًّا (لأنَّه لا يوجد ما يمكن تخيُّله)، يؤدّي إلى الاقتناع بأنَّ الموت حالة مرعبة وغامضة. من الواضح أنَّ هذا التشخيص خطأ، لأنَّه يتساوى استحالة تخيُّل كونك في حالة غيبوبة تامة أو حالة أنَّك ميت، وإن كان تخيُّل الحالتين من الخارج ممكنًا، وإن كان هؤلاء الكارهون للموت لا يكرهون عادة الغياب عن الوعي (طالما أنَّه لا يتضمَّن قطعًا في الديمومة الكلّيَّة للحياة الواعية).

إذا أردنا أن نفهم الرأي الذي مفادُه أنَّ الموت شيء سيّئ، فيجب أن نفهمه على أساس كون الحياة شيئًا حسنًا، وأنَّ الموت هو الفقدان المقابل لها، ولا يكمن السوء في أيَّة خصائص موجبة للموت ولكن في ما يحرمنا منه.

صعوبات الفقد في الحياة

بعد هذا العرض، ننتقل إلى الصعوبات التي يثيرها هذا الفرض، صعوبات الفقد بشكل عام، والموت بشكل خاصّ. والواقع أنَّ هناك ثلاثة أنواع من الصعوبات:

النوع الأول: أنَّ الشكَّ قد يثور في ما إذا كان يمكن أن يكون هناك شيء سيّئ من دون أن يكون غير سارٍّ من الناحية الإيجابيَّة. بمعنى أن يثور الشكُّ في ما إذا كان هناك شرور تكمن فقط في الحرمان من خيرات ممكنة، ولا تعتمد على وجود من يشكل هذا الحرمان أهمية له.

النوع الثاني: أنَّ هناك صعوبات خاصَّة، في حالة الموت، تتعلَّق بكيف ننسب إلى أيِّ شخص بشكل عامٍّ سوء الحظِّ المفترض هذا. ثمَّة شكٌّ في من يكون هذا الذي ننسب الموت إليه، ومتى حدث له هذا الموت. فللمدى الذي يوجد فيه شخص ما فإنَّه ليس بميت. ومتى مات لم يعد موجودًا. وبالتالي، يبدو أنَّه لا يوجد وقت محدَّد ننسب فيه الموت - إذا كان سوءَ حظٍّ – إلى هذا الشخص السيّئ الحظّ.

النوع الثالث: يتعلَّق بعدم الاتِّساق - الذي ذكرناه من قبل - بين اتِّجاهاتنا من عدم الوجود التالي على الوفاة وعدم الوجود السابق على الميلاد. فكيف يكون الأول سيّئًا إذا لم يكن الثاني كذلك؟

من هنا، تجب مراعاة أنَّه إذا كانت هذه اعتراضات سليمة لعدِّ الموت شرًّا، فإنَّها ستنطبق على شرور أخرى مفترضة. يمكن التعبير عن النوع الأول من الاعتراضات بالقول أنَّ ما لا تعرفه لا يمكن أن يكون مؤلماً. بمعنى أنَّه حتى إذا خدع شخص ما من قبل أصدقائه، واحتقره أولئك الذين يحترمونه في الظاهر، فلا يمكن عَدُّ هذا سوء حظٍّ طالما أنَّ نتيجة ذلك أنَّ الشخص لا يعاني. أي أنَّ الشخص لن يُضار إذا تجاهل منفِّذ إرادته تنفيذ أمانيه، أو إذا ما ساد الاعتقاد - بعد وفاته - أنَّ كلَّ الأعمال الأدبيَّة التي نال الشهرة بسببها كان أخوه هو من كتبها والذي مات في المكسيك في عمر

الثمانية والعشرين. وعليه، يبدو لي جديرًا أن نتساءل عمَّا هي الافتراضات المتعلِّقة بالخير والشرِّ التي تؤدّي إلى هذه التحديدات.

ينبغي القول إذن، أنَّ لكل الأسئلة علاقة بالزمن. فمن المؤكَّد أنَّ هناك خيراتٍ وشرورًا من نوع بسيط (مثل اللَّذَّات والآلام) لدى كلِّ شخص في وقت ما تعود إلى حالته في ذلك الوقت. إلَّا أنَّ هذا لا ينطبق على كل ما نعدُّه شرًّا أو خيرًا للشخص المعنيّ. فنحن عادة ما نحتاج إلى معرفة تاريخ حياته حتى نتمكَّن من الحكم عمَّا إذا كانت واقعة ما تمثِّل سوء حظٍّ بالنسبة إليه أم لا. هذا الأمر ينطبق على مسائل مثل التدهور والحرمان والتلف. فقد تكون إحدى حالاته التجريبيَّة غير مهمَّة نسبيًّا كحالة شخص ما قضى حياته كلَّها في بحث سار عن منهج للتواصل مع نباتات الهليون. فمن يذهب إلى أنَّ كل الخيرات والشرور يجب أن تكون قابلة لأن تنسب زمانيًّا إلى شخص ما يحاول إدراج حالات صعبة بالإشارة إلى السعادة أو الألم الذي تسبِّبه خيرات وشرور أكثر تعقيدًا. من هنا يكون الفقدان والخداع والاستهزاء- وفقًا لهذا الرأي- أمورًا سيّئة لأنَّ الناس يعانون متى علموا بها. ولكنَّنا في حاجة إلى أن نسأل كيف يجب أن تتشكَّل أفكارنا المتعلِّقة بالقيمة البشريَّة لكي تتضمَّن هذه الحالات بشكل مباشر (كان هذا سيساعدنا على تفسير لماذا يسبِّب اكتشاف هذا الأمور معاناة).

أحد التفسيرات هو أنَّ الفرد الذي يتحدَّد بتاريخه وإمكانيَّاته هو حامل معظم الخيرات والشرور وليس الشخص في لحظة حدوث أيٍّ من هذه الأمور، وأنَّه إذا كان الشخص يمكن تحديده تمامًا بسلسلة من الأماكن والأوقات، فإنَّ هذا لا يصدق بالضرورة على الخيرات والشرور التي تحدث له.

يمكن شرح هذه الأفكار بمثال من الحرمان الذي يقترب في شدَّته من الموت. فلنفترض أن شخصًا ذكيًّا أصيب بإصابة شديدة في المخِّ أدَّت بحالته العقليَّة إلى أن تصبح حالة طفل رضيع، وتتولىَّ مشرفةٌ إشباع رغباته. لا شكَّ في أنَّ ما حدث له سيُعدُّ سوء حظٍّ كبيراً ليس فقط لأصدقائه وأقاربه أو للمجتمع الذي ينتمي إليه، بل له أيضًا. هذا لا يعني أنَّ الطفل الرضيع سيّئ الحظّ، ولكن الشخص البالغ الذي أصيب بهذه الحالة هو موضوع هذه المصيبة. فهو الذي نشعر بالشفقة تجاهه، وإن لم يكن هو ذاته مهتَّمًا بحالته. ثمَّة شكٌّ هنا في ما إذا كان يمكننا القول عنه أنَّه مازال موجودًا.

الرأي الذي يذهب إلى أنَّ هذا الشخص قد ناله سوء حظٍّ أو ضرر رأي يتعرَّض للاعتراضات ذاتها التي وجِّهت للموت. إذ لا يهتمُّ بحالته، فهي الحالة نفسها التي كان عليها أيام أن كان يبلغ من العمر ثلاثة أشهر، مع اختلاف وحيد وهو أنَّه الآن أكبر. فإذا لم نشفق عليه وقتها، لماذا نشفق عليه الآن. أو بمعنى آخر، من هو ذلك الموجود الذي نشفق عليه؟ لقد اختفى الشخص البالغ، وبالنسبة إلى مخلوق مثل هذا الذي أمامنا، فإنَّ السعادة تتكوَّن من معدة مليئة وحفاضة جافة.

أمَّا إذا كانت هذه الاعتراضات غير سليمة، فيجب أن يكون ذلك بسبب أنَّها تتأسَّس على افتراض خاطئ حول العلاقة الزمنيَّة بين موضوع سوء الحظِّ هذا والحالات التي تمثِّله. فبدلًا من التركيز بشكل كامل على الطفل الكبير الحجم الذي أمامنا، ندرس الشخص الذي كانه، والشخص الذي يمكن أن يكون الآن، فاختزاله في هذه الحالة واختفاء تطوُّره الطبيعيِّ يشكِّلان سوء حظٍّ عقليٍّ كامل.

هذه الحالة يجب أن تقنعنا بأنَّه من التعسُّف أن نقصر الخيرات والشرور التي تحدث لشخص ما للخصائص غير العلائقيَّة يمكن أن تنسب إليه في أوقات معيَّنة. هذا القصر لا يستبعد فقط حالات مثل التدهور الكبير، ولكن أيضًا أمورًا كثيرة ممَّا هو مهمٌّ في النجاح والفشل، وملامح حياة لها طبيعة العمليَّات. ومع هذا، أعتقد أنَّنا يمكن أن نسير إلى أبعد من هذا. فهناك خيرات وشرور علائقيَّة بشكل لا يمكن ردُّه.

هي ملامح العلاقات بين الشخص بحدوده المكانيَّة والزمانيَّة العاديَّة والظروف التي قد لا تتصادف معه في المكان أو الزمان. فحياة الإنسان تتضمن الكثير ممَّا قد لا يظهر داخل حدود جسده وعقله. وما يحدث له قد يتضمَّن كثيراً ممَّا لا يحدث داخل حدود حياته. هذه الحدود تتقاطع عادة مع مصائب أن يُخدع أو يتمَّ غشُّه (إذا كان هذا صحيحًا، فإنَّ هناك تفسيراً بسيطًا لضرر مخالفة وعد قاله شخص على فراش الموت. هو يشكِّل ضررًا للمتوفىَّ القابع على فراش الموت. من الممكن لأغراض معيَّنة أن نعدَّ الزمن صورة أخرى من صور البُعد). أظهرت لنا حالة الذي أصيب بدمار المخِّ شرًّا يعتمد على التقابل بين الواقع والبدائل الممكنة. فالشخص هو موضوع الخير والشرِّ لأنَّ لديه آمالاً وممكناتٍ قد لا تتحقَّق، ولأنَّ لديه القدرة على المعاناة والاستمتاع. فإذا كان الموت شرًّا فيجب تفسيره بهذه الحدود، واستحالة وضعه داخل الحياة لا يجب أن تزعجنا.

عندما يموت المرء لا تبقى أمامنا سوى جثَّته. ورغم أنَّ الجثَّة قد تعاني الضرر الذي تعانيه أيُّ قطعة أثاث، فإنَّها ليست موضوعًا للرِّثاء، ولكن الشخص موضوع للرِّثاء. لقد فقد حياته، ولولا أنَّه مات لكان قد استمرَّ حيًّا، واستمر في اكتساب الخيرات التي يكتسبها أثناء حياته. فإذا طبَّقنا على الموت التفسير الذي طبَّقناه على حالة إصابة المخِّ، سوف نقول إنَّه رغم وضوح التحديد المكانيِّ الزمانيِّ للشخص الذي عانى الفقدان بشكل تامٍّ، فليس من السهل أن نحدِّد إلى من يُنسب سوء الحظّ. يجب أن نقرَّ ونرضى فقط بأنَّ حياته انتهت وأنَّها لن تعود أبدًا. هذه الواقعة - وليست حالته الماضيَّة أو الحاليَّة - هي ما تشكِّل سوء الحظِّ الذي أصابه إذا كان هذا سوء حظّ. فإذا كان هناك فُقد، فيجب أن يكون هناك من يعانيه، وأن يكون له وجود وحدود مكانيَّة وزمانيَّة حتى وإن لم يكن للفقد هذه التحديدات.

يمكن القول في هذا السياق أن واقعة حرمان بيتهوفن من أطفال قد تكون أسى له أو أمرًا حزينًا للعالم، ولكن لا يمكن وصفه كسوء حظٍّ للأطفال الذين لم يوجدوا. نعم، كلُّنا محظوظون بأن وُجدنا. فما لم يكن الخير والشرُّ يُنسبان ولو إلى جنين، لا يمكن القول أنَّ عدم الميلاد سوء حظّ.

مشكلة عدم الاتِّساق الزمني

هذا التوجُّه يقدِّم لنا حلاًّ لمشكلة عدم الاتِّساق الزمنيِّ، التي عرضها لوكريتوس Lucretius، إذ لاحظ أنَّه لم يجد أحد مسألة التفكير في أبديَّة ما قبل الميلاد مسألة مزعجة. وبالتالي، فقد خلص من هذا إلى أنَّ الخوف من الموت أمرٌ لاعقلانيٌّ، مادام هو الصورة المقابلة لعدم الوجود قبل الميلاد. إلاَّ أنَّ هذا ليس صحيحًا. نعم، يصدق أنَّ الزمن قبل ميلاد شخص ما والزمن بعد وفاته زمانان لا يوجد فيهما هذا الشخص. ولكن الزمن بعد الوفاة هو الزمن الذي حرمه منه الموت. إنَّه الزمن الذي ما لم يكن الشخص قد مات لكان مازال على قيد الحياة. وبالتالي، فإنَّ أيَّ موت يتضمَّن فقدان حياة كان سيحياها صاحبها ما لم يمت في ذلك الوقت أو في أيِّ وقت آخر. ونحن نعرف تمامًا ماذا كانت ستعني له أن يحياها بدلاً من أن يفقدها، ولا توجد صعوبة في تحديد الخاسر.

في المقابل، لا يمكن القول أنَّ الزمن السابق على الميلاد هو زمن كان سيحياه طفلٌ لو كان قد ولد في وقت سابق على ميلاده، ذلك أنَّه ما كان من الممكن أن يولد قبل هذا، طبعًا إذا ما استبعدنا الفترة البسيطة التي كان من الممكن أن يولد فيها الطفل قبل ميلاده. فكلُّ من يولد في زمن سابق على زمن ميلاده سيكون بلا شكٍّ شخصًا آخر. وبالتالي، فالزمن السابق على ميلاده ليس زمنًا حرمه الميلاد التالي عليه من أن يحياه. فالميلاد وقت حدوثه لا يتضمَّن أيَّ فقدان لأيِّ حياة.

لا بدَّ من القول أنَّ اتِّجاه الزمن مهمٌّ في نسب ممكناتٍ لأناس أو أشخاص آخرين. فالحيوات الممكنة المختلفة بعضها عن بعض لشخص واحد يمكن أن ينطلق كلٌّ منها في اتِّجاه من بداية واحدة، ولكن لا يمكن أن تجتمع في نهاية واحدة من بدايات مختلفة.(لن تمثِّل هذه الأخيرة حيوات ممكنة مختلفة لشخص واحد، ولكنَّها تمثِّل مجموعة لأفراد ممكنة متميِّزة، لحيواتها نتائج واحدة)، فإذا انطلقنا من فرد يمكن تحديده، فيمكن حينئذٍ أن نتخيَّل لحياته المتَّصلة ممكناتٍ لا حصر لها، كما يمكن أن نتخيَّل بوضوح ما يمكن أن يعني بالنسبة إليه أن يبقى على قيد الحياة بلا حدود. ورغم أنَّ من المؤكد أنَّ هذا لن يحدث، فإمكانيَّته هي إمكانيَّة استمرار الخير بالنسبة إليه، إذا كانت الحياة هي ما نعدُّه الخير.

يتبقَّى لنا سؤال عمَّا إذا كان عدم تحقُّق هذه الإمكانيَّة يُعدُّ في كلِّ حالة سوء حظٍّ، أو ما إذا كان يعتمد على المأمول عادة. وهذا بالنسبة إليَّ يمثِّل أكبر صعوبة مع الرأي الذي يرى في الموت شرًّا

علم المبدأ ILMOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

دائمًا. وحتى إذا استغنينا عن الاعتراضات التي تقف ضدَّ قبول سوء الحظِّ والتي لم تُختبر، أو لا يمكن نسبها إلى زمن محدَّد في حياة شخص ما، فمازال علينا أن نضع بعض الحدود إلى الدرجة التي يمكن عندها لعدم تحقُّق إمكانيَّة ما أن تصبح سوء حظّ.

لإعطاء شواهد في هذا السياق، نقول إنَّ موت كيتس في الرابعة والعشرين من عمره يُعدُّ بشكل عامٍّ فاجعة، بينما موت تولستوي في الثانية والثمانين ليس كذلك. ورغم أنَّ كلاًّ منهما سيظلُّ ميتًا إلى الأبد، فإنَّ موت كيتس قد حرمه سنوات طويلة من الحياة منحت لتولستوي. من هنا، تُعدُّ خسارة كيتس بمعنى ما أكبر (ليس بالمعنى المستخدم في الرياضيَّات عند المقارنة بين كميَّات لامتناهية). لكن هذا لا يعني أنَّ موت تولستوي ليس ذا دلالة، ربما كنَّا نسجِّل اعتراضًا فحسب على الشرور التي تُضاف بلا أيِّ مبرِّر إلى ما هو حتميٌّ، فواقعة أنَّ الموت في عمر 24 أسوأ منه في عمر 82 لا يعني أنَّ الموت في عمر 82 ليس سيّئًا. وهنا نسأل عمَّا إذا كان من الممكن أن نُعدَّ أيَّ حدود عاديَّة لجنس ما مثل الفناء سوءَ حظّ. ففقدان البصر لن يكون سوءَ حظٍّ للإنسان إذا كانت هذه هي الحالة الطبيعيَّة للإنسان.

تكمن المسألة الأساس هنا في أنَّ الحياة عوَّدتنا على الخيرات التي يحرمنا منها الموت. فإذا نحَّينا جانبًا ما إذا كانت هذه الخيرات هي بالفعل خيرات، وسلَّمنا بأنَّ كميَّتها في قدر منها دالَّة على ديمومتها، يظلُّ السؤال عمَّا إذا كان الموت - بغضِّ النظر عن موعد حدوثه - يحرم صاحبه من الاتصال الممكن بالحياة. الموقف هنا غامض. إذا نظرنا إليه من الخارج نرى أنَّ للبشر مدة حياة محدَّدة، ولا يمكن لأيٍّ منهم أن يعيش بعد المائة. أمَّا إحساس الإنسان من الداخل لخبراته الخاصَّة فلا يتضمَّن فكرة الحدِّ الأقصى الطبيعيّ. ووجوده يحدِّد له مستقبلاً ممكنًا مفتوحًا يحتوي على الخليط الطبيعيِّ للخيرات والشرور التي تحمَّلها في الماضي. فإذا كان قد ألقي به في الحياة بلا مبرِّر وبفعل عوامل طبيعيَّة وتاريخيَّة واجتماعيَّة، فسيجد نفسه موضوعًا لحياة لها مستقبل غير محدَّد. وإذا ما تصوَّرنا الحياة على هذا النحو فيصبح الموت - بغضِّ النظر عن حتميَّته - إلغاء فجائيًّا لخيرات ممكنة ممتدَّة بلا حدود. عمومًا، لا يبدو أنَّ لها صلة بهذا الأمر إذ إنَّ الواقعة القائلة بأنَّنا سنموت حتمًا خلال بضع سنين لا تتضمَّن في ذاتها أنَّه ما كان سيكون خيرًا لو يحيا المرء مدَّة أطول. فإذا لم يكن هناك حدٌّ لكمِّ الحياة التي من الخير أن يحياها المرء، فقد يكون ما ينتظرنا نهاية سيِّئة.

ردّاً على فلسفة الموت لتوماس ناغل

حقَّانيَّة الموت من حقيقة الوجود الحيّ

محمد درويش

أستاذ الفلسفة في جامعة برونل- بريطانيا

رغم أنَّ مقال الفيلسوف الأميركي توماس ناغل- الذي يدرِّس في جامعة «نيويورك سيتي»، كُتب عام 1970 وجاء تحت عنوان «الموت»، إلاَّ أنَّني لم أقرأه سوى هذه الأيام. ولقد حفَّزني على أن أكتب ردًّا عليه من وجهة نظر إسلاميَّة، مراعيًا في الوقت نفسه الوجهة الإنسانيَّة المحضة وغير الدينيَّة.

يتكوَّن المقال من ثمان صفحات يحاول فيها طرح تساؤلات عمَّا إذا كان الموت بحدِّ ذاته شرًّا، وحول ما إذا كان فقدان الحياة، بما تحتويه من خبرات وتجارب، يمثِّل خسارة كبيرة للفرد. وهو يجادل بأنَّ الموت يُعدُّ شرًّا لأنَّه يحرمنا من هذه التجارب الجيّدة، وليس لأنَّ حالة الموت بحدِّ ذاتها سيّئة. يناقش ناغل أيضًا الصعوبات في تحديد متى وأين يحدث الضَّرر الناتج من الموت مقارنًا بين عدم وجودنا قبل الولادة وبعد الموت. في النهاية يستنتج أنَّ الموت يمثِّل خسارة لأنَّه ينهي إمكانيَّات الحياة واستمراريتها.

سوف أطرح وجهة النظر الإسلاميَّة لظاهرتيَ الحياة والموت وكذا وجهة النظر اللَّادينيَّة. ولأنيّ لم أكن متخصِّصًا في الفلسفة بل أستاذًا في هندسة الإلكترونيَّات، أسعى كما يسعى الفيلسوف في الوقت نفسه لفهم العالم وتحسينه من حولنا، فسوف أحاول الإجابة على أسئلة أراها جوهريَّة، سواء كانت تقنيَّة أم أخلاقيَّة. وكعادتي أفضِّل الكتابة في نقاط لسهولة نقل الأفكار:

١) يقدم الإسلام رؤية متكاملة تجمع بين الروحيِّ والعقلانيِّ في ما يتعلَّق بالموت. من الناحية الروحيَّة، يُعتقد أنَّ الرُّوح تنتقل إلى حياة أخرى بعد الموت. ويشير القرآن الكريم إلى هذا الانتقال في آيات عدّة، منها قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (العنكبوت: 57).

أمَّا من الناحية العقلانيَّة، فيُعلّم الإسلام أنَّ الحياة الدنيا لها دور محدَّد كجزء من خطَّة إلهيَّة

أوسع. هذه الرؤية تمنح المؤمنين الرَّاحة والإيمان بأنَّ الموت ليس نهاية، بل هو تحوُّلٌ نحو حياة أخرى. فالإسلام يعلِّمنا أنَّ الحياة الدنيا ليست سوى مرحلة قصيرة تسبق الحياة الأبديَّة في الآخرة. القرآن الكريم يُوضح هذا المفهوم في آيات عدَّة، منها: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ (الأنعام: 32). وهذا التشبيه يُساعد المؤمنين على تقبُّل الموت كجزء طبيعيٍّ من دورة الحياة بدلاً من النَّظر إليه كنهائيَّة.

إلى هذا، تقدِّم الأديان رؤى روحانيَّة لهذه الأسئلة، وهناك أيضًا رؤى فلسفيَّة وإنسانيَّة يمكن أن تكون ذات أهميَّة كبيرة لغير المتديّنين، وهي تقدِّم تفسيراً لمعنى الحياة والموت بطريقة تعتمد على التفكير العقلانيِّ والتجربة الإنسانيَّة. من منظور فلسفيٍّ وإنسانيٍّ، يمكن النظر إلى الموت ليس كنهاية مطلقة، بل كجزءٍ من دورة الحياة الطبيعيَّة. إنَّه جزءٌ لا يتجزَّأ من الطبيعة، ومثلما نحتفل بولادة الحياة، يجب أن نتقبَّله كجزء من هذه الدورة. في هذا السياق، يقول الفيلسوف الفرنسيُّ ميشيل دي مونتين: «يجب علينا دائمًا أن نكون مستعدّين للرَّحيل، وعلى قدر الإمكان أن نكون جاهزين. وقبل كلِّ شيء، دعونا نتأكَّد من أنَّ لدينا أنفسنا فقط لنقلق بشأنها عندما يحين الوقت». هذه الرؤية تساعد في تقليل الخوف من الموت وتَقبُّل أنَّه جزء من الوجود الإنسانيّ.

٢) في الإسلام، الحياة لها هدف واضح ومحدَّد وهو عبادة الله واتِّباع تعاليمه. ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في قوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات: 56). هذا الهدف يمنح الحياة معنى أعمق يتجاوز مجرَّد البقاء. وعبادة الله تشمل التصرُّفات الأخلاقيَّة والتعاملات اليوميَّة، ممَّا يعطي للحياة بُعدًا أكبر من مجرَّد الوجود المادّيّ.

أمَّا من وجهة النَّظر اللَّادينيَّة فأحد أهداف الحياة الرئيسيَّة هو تحقيق الذات، وهذا يشمل السَّعي لاكتشاف المواهب والقدرات الفريدة وتطويرها، فالأفراد يجدون السعادة عندما يحقِّقون إمكاناتهم الكاملة.

٣) يوفر الإسلام إحساسًا بالإشباع والاتجاه، مما يتصدى للآثار العدمية لفكرة الموت كنهاية أبدية. ففكر الموت في الإسلام، كما ذكرنا سابقاً، ليست نهاية للحياة وإنما بداية لحياة أخرى، وهو ما يمنح الأفراد رؤية متفائلة تتحدَّى فكرة الفناء المطلق. الإيمان بالله وباليوم الآخر يوفِّر راحة نفسيَّة وشعورًا بالأمان حيال المستقبل، حيث يؤمن المسلم بأنَّ الأعمال الصالحة والطاعات ستجلب له الجزاء الحسن في الآخرة. يشير القرآن الكريم إلى هذا الإحساس في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: 28). هذا يعني أنَّ ذكر الله يملأ القلوب بالطمأنينة والسكون، ممَّا يعزِّز الإيمان بأنَّ الله هو الحافظ والمدبِّر لكلِّ شيء، وأنَّ الأمور كلَّها تسير وفق مشيئته الحكيمة، وبالتالي فإنَّ الإيمان بالله وباليوم الآخر يجعل الأفراد

يعيشون حياة مليئة بالرضا والتفاؤل، بعيدًا عن القلق والخوف من المستقبل، ممَّا يعزِّز السلام الداخلي والاستقرار النفسي. مثالاً على ذلك: تخيَّل رجلاً يمرُّ بصعوبات كبيرة في حياته، مثل فقدان وظيفة أو مرض شديد. هذا الرجل، بفضل إيمانه بالإسلام، يجد في صلاته اليومية وذكره لله مصدرًا للطمأنينة والراحة النفسية. عندما يقرأ القرآن ويستمع إلى آيات مثل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ (الرعد: 28)، يشعر بأنَّ هذه الكلمات تعطيه القوَّة لمواجهة تحدّيات الحياة. الإيمان بأنَّ هذه الدنيا ليست نهاية الرحلة، وأنَّ هناك حياة أخرى بعد الموت مليئة بالنعيم، يمنحه الأمل والتفاؤل. بالتالي، بدلاً من الشعور باليأس والفناء، يعيش هذا الرجل حياة مليئة بالرضا والسلام الداخليِّ، مدركًا أنَّ الله يراقب كلَّ شيء، وسيكافئه على صبره وجهوده في الآخرة.

أيضًا يمكن تحقيق الشعور بالإشباع والاتِّجاه من خلال مجموعة متنوِّعة من الطرق اللَّادينيَّة، التي تتصدَّى للآثار العدميَّة لفكرة الموت كنهاية أبديَّة. فالبحث عن معنى الحياة والاتِّجاه في الفلسفات الإنسانيَّة والعلمانيَّة يوفِّر أساسًا قويًّا للإحساس بالإشباع. كذلك يمكن القول أنَّ الفلسفات الإنسانيَّة تركِّز على القيم الإنسانيَّة والأخلاقيَّة التي تدعو إلى تحقيق الخير والعدل والتعاون بين الأفراد. هذه القيم تمنح الأفراد إحساسًا بالهدف والتوجيه، حيث يرون أنَّ أعمالهم يمكن أن تساهم في تحسين المجتمع والبيئة من حولهم. ومن خلال هذا الشعور بالمسؤوليَّة الجماعيَّة والالتزام بتحسين حياة الآخرين، يمكن أن يجدوا معنى عميقًا في حياتهم.

٤) في الإسلام، تُرى الحياة كفرصة للتطوُّر الأخلاقيِّ والروحيّ. وتعدُّ الاختبارات والتجارب وسائل للنموِّ الروحيِّ وتكوين الشخصيَّة. فمن خلال مواجهة التحدِّيات والصعوبات، يُمكن للفرد أن يتعلَّم الصبر والتوكُّل على الله، وأن يُطوِّر صفات مثل الرَّحمة والتواضع والقوَّة الداخليَّة. يوضح القرآن الكريم هذا في قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: 155). هذا يعني أنَّ الله يختبر المؤمنين بأنواع مختلفة من المِحَن مثل الخوف والجوع والنقص في المال والأنفس والثمرات، ليُمتحن صبرهم وإيمانهم. والصابرون هم الذين يواجهون هذه المِحَن بثبات وإيمان، ويتطلَّعون إلى الله طالبين منه العون والرَّاحة. فكلُّ محنة أو تجربة تُعدُّ فرصة للتفكُّر والتأمُّل والتعلُّم، ممَّا يعزِّز النموَّ الرُّوحيَّ والقدرة على التكيُّف مع مختلف ظروف الحياة.

وجهة النظر اللادينية حول الحياة كفرصة للتطور الأخلاقي والروحي ترى أن الإنسان يمكنه تحقيق النمو الشخصي والأخلاقي من خلال تجاربه في الحياة دون الحاجة إلى إطار ديني. فالحياة تعد فرصة للتطور الأخلاقي والروحي من خلال اتباع القيم الإنسانية ومعايشة التجارب الشخصية. التركيز يكون على التعلُّم من الأخطاء، تطوير التعاطف، وتحمُّل المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، مع تحقيق

علم المبدأ MOLMABDAA
العدد التاسع - 1446هـ - ربيع 2024م

السلام الداخليِّ والنموِّ الشخصيِّ عبر التأمُّل والفنون والعلم.

٥) من المنظور الزمنيِّ الإسلاميِّ، تُعدُّ الخبرات المحدودة في هذه الدنيا أقلَّ أهميَّة مقارنة باللإمكانات اللَّانهائيَّة في الآخرة. يوضح القرآن الكريم هذا في قوله: «**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ**» (الرعد: 26). هذا الإدراك يجعل المؤمنين يُدركون أنَّ الحياة الدنيا ليست سوى جزءٍ صغيرٍ من رحلة أبديَّة، ممَّا يقلِّل من التعلُّق الزائد بملذَّات الدنيا ويزيد من التركيز على العمل للآخرة. كذلك يؤكِّد الإسلام أنَّ قيمة الحياة ليست في مجرَّد البقاء، بل في العيش بطريقة أخلاقيَّة جيّدة. الحياة التي تُعاش بهدف ونزاهة أخلاقيَّة لها قيمة جوهريَّة في الإسلام. والقرآن الكريم يُشير إلى هذا في قوله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ (النحل: 97). ويقرُّ الإسلام أيضًا بأنَّ الحياة تتضمَّن معاناة وشرّ، لكنَّه يُعدُّ هذه التجارب اختبارات يمكن أن تؤدّي إلى الارتفاع الروحيِّ والنموّ.

من المنظور اللَّادينيِّ، تُعدُّ الخبرات المحدودة في هذه الدنيا ذات أهميَّة كبيرة لأنَّها تشكِّل كلَّ ما لدينا من تجربة ووعي. النظرة اللَّادينيَّة ترى أنَّ الحياة الحاليَّة هي الفرصة الوحيدة التي نمتلكها لتحقيق النمو الشخصيِّ، والسعادة، والإسهام في المجتمع. هذا الإدراك يُعزِّز من أهميَّة كلّ لحظة ويشجِّع على الاستفادة القصوى من الوقت المتاح. كذلك النظرة اللَّادينيَّة تُشدِّد على أهميَّة الاستفادة القصوى من الحياة الحاليَّة والعيش بنزاهة وأخلاقيَّة. التجارب الدنيويَّة تُعدُّ ذات قيمة كبيرة لأنَّها تشكِّل كلَّ ما لدينا من تجربة. من خلال التركيز على القيم الإنسانيَّة، تحقيق الأهداف الشخصيَّة، والإسهام في المجتمع، ويمكن للأفراد أن يعيشوا حياة ذات معنى وقيمة. المعاناة تُعدُّ جزءًا من التجربة الإنسانيَّة، والتعامل معها يُعزِّز من النموِّ الشخصيِّ والتعاطف مع الآخرين.

٦) الإيمان بالآخرة يقدِّم راحة نفسيَّة كبيرة، ممَّا يقلِّل من الخوف والقلق المرتبطين بالموت. هذا الإيمان يقوّي الشعور بالأمان والطمأنينة، حيث يعتقد المؤمنون بأنَّ الحياة لا تنتهي بالموت، بل تستمرُّ في عالم آخر أكثر سعادة وعدالة. وهذا الاعتقاد يمنح الأمل في لقاء الأحبة الذين فارقوا الحياة، ممَّا يُخفِّف من ألم الفراق، ويُعزِّز الروابط الروحيَّة بين الأفراد. كذلك يُساعد الإيمان بالآخرة على التعامل مع القلق والخوف من المجهول، ويُضفي نوعًا من الطمأنينة ويُقلِّل من الرَّهبة المرتبطة بنهاية الحياة. هذا الإيمان يمنح الأفراد شعورًا بأنَّ حياتهم وأعمالهم لها معنى أعمق وستُكافأ في الآخرة. وأيضًا الاعتقاد بأنَّ العلاقات الإنسانيَّة تمتدُّ إلى ما بعد الحياة الدنيا يُضفي معنى أكبر للحياة. الإيمان بالآخرة كذلك يعزِّز من فكرة استمرار الذات بعد الموت، ممَّا يمنح شعورًا بالخلود والدوام. ولا شك في أنَّ فكرة أنَّ الأعمال الصالحة والتصرفات الأخلاقية ستُكافأ في الآخرة تُحفِّز الأفراد على العيش بنزاهة وأخلاقيَّة. القرآن الكريم يُوضح هذه الفكرة في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (العنكبوت: 58)، إذ يُشير إلى الجزاء الحسن الذي ينتظر المؤمنين الصالحين في الآخرة، حيث يُعدُّ لهم الله مكانًا في الجنَّة مليئًا بالنعيم والراحة الأبديَّة.

لا بدَّ من القول، من وجهة النظر اللَّادينيَّة، أنَّ الراحة النفسيَّة وتقليل الخوف من الموت لا يأتيان من الإيمان بالآخرة، بل من مواجهة الحقائق وتحقيق المعنى الشخصيِّ في الحياة الحالية. فالاعتراف بأن الموت جزءٌ من دورة الحياة يمكن أن يُخفِّف من القلق المرتبط به. كذلك يخفِّف من القلق التركيز على الحاضر وإيجاد السعادة والمعنى في اللَّحظة الحاليَّة بدلاً من التفكير في حياة أخرى بعد الموت. أمَّا عن الأمل في لقاء الأحبة فالاعتزاز بالذكريات واللَّحظات الجميلة مع الذين رحلوا قد تساعد على التعامل مع الفراق. أيضًا ممارسات مثل التأمُّل يمكن أن تساعد في تحقيق السلام الداخليِّ وتقليل القلق.

٧) كما أوضحت في بداية المقال، لست متخصِّصًا في الفلسفة، ولكنّي أعُدُّ نفسي من هوَّاة هذا المجال، وقد أتيحت لي الفرصة للإحاطة والتحدُّث مع فلاسفة كبار مثل والدي الدكتور كمال درويش أستاذ التربية وعلم النفس بجامعات حلوان وصنعاء (اليمن) وبنغازي (ليبيا) رحمة الله عليه. وكما يُقال في العاميَّة المصريَّة: «من جاور السعيد يسعد». تخصُّصي الأساسيُّ هو الهندسة الإلكترونيَّة، ومن هنا ينبثق السؤال المهمّ: ما علاقة الهندسة الإلكترونيَّة بظاهرة الموت؟

من وجهة نظر الهندسة الإلكترونيَّة، يمكننا تناول مفهوم الموت بأسلوب طريف من خلال تشبيهه بانتهاء عمر الأجهزة الإلكترونيَّة أو «الشيخوخة الرقميَّة». في عالم الإلكترونيَّات، كلُّ جهاز له «عمر افتراضيّ» يشبه إلى حدٍّ كبير العمر البشريّ. عندما يصل الجهاز إلى نهاية عمره الافتراضيِّ، قد يبدأ في إظهار علامات التدهور أو حتى التوقُّف عن العمل تمامًا. هذا يمكن تشبيهه بالموت في الحياة البشريَّة. كذلك من الممكن تشبيه الأعطال الإلكترونيَّة بالأمراض. فمثلما تصيب الأمراض جسم الإنسان، تصيب الأعطال مكوّنات الجهاز الإلكترونيّ. فمثلاً، مقاومة محروقة قد تكون بمثابة نوبة قلبيَّة رقميَّة! وكما يسعى البشر للحفاظ على صحَّتهم من خلال الرعاية الصحيَّة، كذلك تحتاج الأجهزة الإلكترونيَّة إلى صيانة دوريَّة لتحافظ على أدائها. في بعض الأحيان، يمكن أن تكون إعادة تشغيل الجهاز بمثابة «انتعاش» مؤقَّت، ولكن إذا كانت المشكلة أعمق، فقد لا يعود إلى العمل. وحتى بعد توقُّفه عن العمل، يمكن إعادة تدوير مكوّناته للاستفادة منها مجدَّدًا، مشابهًا لفكرة نقل بعض الأعضاء البشريَّة وكذلك فكرة «الحياة بعد الموت» في بعض الثقافات. ولو نظرنا إلى جهاز إلكترونيٍّ ساهم في مشاريع تعليميَّة، فحتى لو انتهى العمر الافتراضيُّ لهذا الجهاز، سيحيا حياة أبديَّة أفضل وأسمى من خلال الابتكارات التي سيُنشئها في عقول أجيال بعد أجيال.

تخيَّل جهاز كمبيوتر يتحدَّث مع جهاز آخر ويقول: «أشعر أنَّ شريحة المعالج لديَّ قد بدأت تشيخ. أعتقد أنَّني سأحتاج إلى بعض الصيانة قريبًا، أو ربمَّا حتى إعادة التدوير!». فيردُّ الجهاز الآخر: «لا تقلق، صديقي. حتى لو انتهى عمرك الافتراضيُّ، ستستمرُّ حياتك من خلال المعرفة والابتكارات التي ستنقلها إلى الأجيال القادمة. المهمُّ هو أن نتأكَّد من أنَّ بياناتنا قد تمَّ نسخها احتياطيًّا في مكان آمن، ليبقى أثرنا حيًّا في عقول المستقبل!».

ختامًا، يُظهر هذا المقال كيف يمكن تناول موضوع الموت من وجهات نظر مختلفة، سواء من خلال الفلسفة والدين، أم من خلال العلم والهندسة. بالنسبة إلى الإيمان بالآخرة، فهو يُوفِّر راحة نفسيَّة وأمل في استمرار الحياة بعد الموت ولقاء الأحبَّة، ممَّا يُقلِّل من الخوف والقلق المرتبطين بالموت. في المقابل، تُركِّز النَّظرة اللَّادينيَّة على تحقيق المعنى والسعادة في الحياة الحالية من خلال مواجهة الحقائق والاستفادة القصوى من كل لحظة. وبالمثل، يمكن تناول مفهوم الموت في الهندسة الإلكترونية من خلال تشبيه عمر الأجهزة الافتراضي وعمليات الصيانة وإعادة التدوير وكذلك الاستمرارية من خلال إبقاء الأثر في عقول البشريَّة، ممَّا يضفي لمسة طريفة وعمليَّة على موضوع معقَّد وعميق.